الفصل العشرون

سرية مُؤْتَة:

إن من أسباب هذه السرية أن رسول الله ﷺ بعث بكتاب إلى ملك بُصْرَى، فلما نزل مؤتة عرض له شُرَحْبيل بن عمرو الغساني فقتله صبرا، وكانت الرسل لا تقتل. فغضب رسول الله ﷺ وأرسل هذه السرية إلى مؤتة[1]، في جمادى الأولى من سنة ثمان الهجرية[2].

وكان عدة هذه السرية ثلاثة آلاف مقاتل[3]، وأمر عليها زيد بن حارثة، ثم قال: إن قتل زيد فجعفر، وإن قتل جعفر فعبدالله بن رواحة[4]، وزاد الواقدي[5] وابن سعد[6]: «فإن أصيب عبدالله بن رواحة فليرتض المسلمون بينهم رجلا فيجعلوه عليهم».

وعندما تهيأ الجيش وتجهزوا للخروج ودع الناس أمراء رسول الله ﷺ وحينها بكى ابن رواحة، فسألوه عن السبب، فقال: «أما والله ما بي حب الدنيا ولا صبابة بكم، ولكني سمعت رسول الله ﷺ يقرأ آية من كتاب الله (عز وجل) يذكر فيها النار: ﴿وإن منكم إلا واردها، كان على ربك

---

(١) الواقدي (٢/ ٧٥٥ - ٧٥٦)، وابن سعد (٢/ ١٢٨) - معلقا. إذن فالأسانيد ضعيفة.

(٢) اتفق على ذلك أهل المغازي والسير: ابن إسحاق بإسناد حسن إلى عروة الذي أرسله. ابن هشام (٤/ ٢٣)، ابن سعد (٢/ ١٢٨) معلقا، موسى بن عقبة وأبوالأسود عن عروة كما ذكر ابن حجر في الفتح (١٦/ ٩٧/ك. المغازي/ ب. غزوة مؤتة). وذكر ابن حجر أن ابن خياط شذ في ذلك، وقال إنها سنة سبع وعندما رجعنا إلى التاريخ المطبوع لابن خياط لم نجد ذلك كما قال، بل نقل ابن خياط رواية ابن إسحاق المرسلة المشار اليها هنا، ولذا ربما أخذ ابن حجر ذلك من مكان آخر، فليحرر...

(٣) من رواية ابن إسحاق بإسناد حسن إلى عروة - ابن هشام (٤/ ٢٤)، وابن أبي شيبة في المصنف (١٤/ ٥١٢) بإسناد منقطع لأن الحكم لم يسمع من مقسم إلا خمسة أحاديث وليس هذا منها، والواقدي (٢/ ٧٥٦) وابن سعد (٢/ ١٢٨) معلقا.

(٤) البخاري/ الفتح (١٦/ ٩٨/ح ٤٢٦١).

(٥) المغازي (٢/ ٧٥٦)، بإسناده، وهو ضعيف.

حتما مقضيا﴾[٧]، فلست أدري كيف لي بالصدر بعد الورود»، فقال المسلمون: «صحبكم الله ودفع عنكم، وردكم صالحين، فقال ابن رواحة:

«لكنني أسألُ الرحمنَ مغفرةً * وضربةً ذاتَ فَرْغ[٨] تقذفُ الزَّبدا[٩]
أو طعنةً بيدي حَرَّان مجهزة * بحربة تنفذ الأحشاء والكبدا
حتى يقال إذا مروا على جَدَثي * أرشده اللهُ من غازٍ وقد رَشِدا»[١٠]

ثم مضوا حتى نزلوا مَعَان من أرض الشام، فبلغ الناس أن هرقل قد نزل مآب، من أرض البلقاء، في مائة الف من الروم، وانضم إليهم من لَخْم وجُذَام وبَلَقَين وبَهْرَاء وبَلِيّ مائة ألف، عليهم رجل من بليّ، يقال له مالك بن رَافِلة. فلما بلغ ذلك المسلمين أقاموا على معان ليلتين يفكرون في أمرهم، وقالوا نكتب إلى رسول الله ﷺ فنخبره بعدد عدونا، فإما أن يمدنا بالرجال، وإما أن يأمرنا بأمره، فنمضي له. فشجع ابن رواحة الناس، وقال: «ياقوم، والله إن التي تكرهون للتي خرجتم تطلبون: الشهادة، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة، ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به، فانطلقوا فإنما هي إحدى الحسنيين، إما ظهور وإما شهادة». فقال الناس: «قد والله صدق ابن رواحة». فمضى الناس حتى إذا كانوا بتخوم البلقاء، لقيهم جموع هرقل، من الروم والعرب، بقرية مَشَارِف من قرى البلقاء، ثم دنا العدو، وانحاز المسلمون إلى قرية مؤتة، وعبؤوا أنفسهم فيها، جعلوا على الميمنة قُطْبَة ابن قتادة العذري، وعلى الميسرة عبادة بن مالك الأنصاري. ثم التقى الناس واقتتلوا، فاستشهد زيد، وأخذ الراية جعفر، فاقتحم عن فرس له شقراء، ثم عقرها، ثم قاتل حتى أكرمه الله بالشهادة، وهو ينشد:

---

(٦) الطبقات (٢/١٢٨) معلقا، فهو ضعيف.
(٧) مريم: ٧١.
(٨) أي ذات سعة.
(٩) الزبد هنا: رغوة الدم.
(١٠) رواه ابن إسحاق بإسناد حسن إلى عروة، لكنه مرسل ضعيف ـ ابن هشام (٤/٢٤).

«يـا حَبَّـذَا الجَنَّـةُ واقترابهـا * طيبـةٌ وبـاردٌ شرابُـها
والـرومُ روم قـد دنـا عَذابُهـا * كافـرةٌ بعيـدةٌ أنسابُهَـا
عليَّ إذ لاقيتهـا ضِرابُهـا[11]»

وروى ابن هشام[12] أن جعفرا أخذ اللواء بيمينه فقطعت، فأخذه بشماله فقطعت، فاحتضنه بعضديه حتى قتل، وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة، فأثابه الله بذلك جناحين في الجنة يطير بهما حيث شاء[13].

ثم قال ابن هشام[14]: «ويقال إن رجلا من الروم ضربه يومئذ ضربة فقطعه نصفين. «وقد ذكر الواقدي[15] وابن سعد[16] عدة روايات في الحالة التي وجد عليها جعفر بعد استشهاده. ففي رواية أنه وجد في أحد نصفيه ثلاثون أو بضعة وثلاثون جرحا، وفي رواية ثالثة أنه وجد في بدنه أكثر من ستين جرحا وطعنة، قد أنفذته. وثبت في الصحيح[17] أنه قد وجد في جسده بضع وتسعون من طعنة ورمية.

روى ابن إسحاق[18] وغيره أنه لما قتل جعفر أخذ ابن رواحة الراية، ثم

---

(١١) المصدر نفسه، ص ص ٢٦ - ٣٠. أما خبر عقر جعفر فرسه الشقراء وإنشاده الشعر: يا حبذا.... إلخ، فقد رواه بإسناد متصل حسن ص ٣٠، وروى ابن سعد (٢/١٢٨ - ١٢٩) طرفا منه مختصرا معلقا، ورواه مطولا الواقدي (٢/٧٥٦ - ٧٦١) بأسانيده. وقبائل بلقين وبهراء الواردة في الخبر هي فروع من قضاعة. وانظر في هذا: الفتح الرباني (٢١/١٣٩).

(١٢) السيرة (٤/٣١) بإسناد منقطع. والمنقطع من أقسام الضعيف كما هو معلوم.

(١٣) أصل هذا الحديث أورده الهيثمي في المجمع (٩/٢٧٢ - ٢٧٣) من حديث ابن عباس وقال رواه الطبراني بإسنادين وأحدهما حسن، ولفظه أن الرسول ﷺ قال في جعفر: «إن الله أبدله بيديه جناحين يطير بهما في الجنة حيث شاء» واورد ابن حجر في الفتح (١٤/٢٢٢/ شرح الحديث ٣٧٠٩) ما رواه الطبراني من حديث عبدالله بن جعفر بإسناد حسن، أن رسول الله ﷺ قال له: «هنيئا لك، أبوك يطير مع الملائكة في السماء» ومما يقويه أكثر، ما رواه البخاري، ولفظه: «كان ابن عمر إذا حيا إبن جعفر قال: السلام عليك ياابن ذي الجناحين» - الفتح (١٦/١٠٣/ح ٤٢٦٤).
وساق ابن حجر أحاديث أخرى بهذا المعنى فيها الصحيح وفيها الضعيف الذي يتقوى بالشواهد ومع المتابعة، فانظرها في الفتح (١٤/٢٢٢).

(١٤) ابن إسحاق، بإسناد منقطع - ابن هشام (٤/٣١). والمنقطع من أقسام الضعيف.

(١٥) المغازي (٢/٧٦١) بأسانيده وهي ضعيفة.

(١٦) الطبقات (٢/١٢٩) معلقا فهي ضعيفة.

(١٧) البخاري/ الفتح (١٦/٩٩/ح ٤٢٦١).

(١٨) ابن هشام (٤/٣١ - ٣٢) بإسناد حسن. وممن رواه غيره: سعيد بن منصور في سننه، باب جامع الشهادتين، بإسناد منقطع، انظر ابن حجر: الفتح (١٦/٩٨/ ك. المغازي/ ب. غزوة مؤتة/ شرح الحديث رقم (٤٢٦١).

تقدم بها وهو على فرسه، ثم تردد بعض التردد، ثم قال مرتجزا:

«أقسمتُ يا نفسُ لتنزلنه * لتنزلن أو لتكرهنه
إن أجلب[19] الناس وشدوا الرَّنَّة[20] * مالي أراك تكرهين الجنه
قد طال ما قد كنت مطمئنة * هل أنت إلا نطفةٌ[21] في شَنَّه[22].

وقال أيضا:

يانفسُ إلاّ تُقْتَلي تموتي * هذا حِمام الموت قد صُلِيْتِ
وما تمنيت فقد أعطيتِ * إن تفعلي فعلهما هُديتِ[23]

ثم نزل ساحة الوغى. فلما نَزل أتاه ابن عم له بعظم عليه بعض اللحم وطلب منه أن يشد به صلبه لما لاقاه من أيامه تلك من الشدة، فلما أخذ من هذا العظم شيئا يسيرا، سمع الكسرة من ناحية الناس فقال: وأنت في الدنيا! ثم ألقاه وأخذ سيفه فقاتل حتى قتل، فنال الشهادة التي كان يتمناها. وقد ظهر ذلك في موقفه عندما حث الناس على لقاء العدو، على الرغم من كثرته، وعندما ترجم مشاعره في أشعاره التي ذكرنا، وفي قوله لربيبه الذي كان في حجره ورديفه إلى مؤتة، زيد بن أرقم، الذي سمعه يترنم بأبيات من الشعر، يشتهي فيها الشهادة، فبكى زيد، فخفقه ابن رواحة بالدرة، وقال له: «ما عليك يالُكَع أن يرزقني الله شهادة وترجع بين شُعْبَتَي الرحل»[24].

ثم أخذ الراية بعده ثابت بن أقرم، وطلب من المسلمين ان يصطلحوا على رجل منهم، فرشحوه، فرفض، فاصطلحوا على ابن الوليد. فأخذ الراية، وتمكن من الانسحاب[25].

روى أنه لما قتل ابن رواحة مساء بات خالد، فلما أصبح غدا، وقد

---

(١٩) أي صاحوا واجتمعوا.
(٢٠) صوت فيه ترجيع شبه البكاء.
(٢١) الماء القليل الصافي.
(٢٢) القربه القديمة.
(٢٣) يعني صاحبيه زيدا وجعفرا.
(٢٤) رواه ابن إسحاق بإسناد منقطع، لأن عبدالله بن أبي بكر لم يسم من حدثه عن زيد بن أرقم - ابن هشام (٤/٢٨ - ٢٩). والمنقطع من أقسام الضعيف.
(٢٥) إلى هنا من رواية ابن إسحاق بإسناد حسن.

جعل مقدمته ساقته، وساقته مقدمته، وميمنته ميسرته، وميسرته ميمنته، فأنكر الأعداء ما كانوا يعرفون من رايات وهيئة المسلمين، وقالوا: قد جاءهم مدد، فرعبوا، فانكشفوا منهزمين، فقتلوا مقتلة لم يقتلها قوم[٢٦]. وانكسرت يومئذ في يد خالد بن الوليد تسعة أسياف[٢٧]، مما يدل على شدة القتال قبل أن ينسحب من ميدان القتال.

ومما يؤكد مباشرة المسلمين القتال قبل الانسحاب ما رواه مسلم[٢٨] وغيره من حديث عوف بن مالك أن رجلا من أهل اليمن رافقه في هذه السرية، فقتل روميا وأخذ سَلَبَه، فاستكثره خالد، فشكاه اليمني إلى رسول الله ﷺ.

ومما ظهر من معجزات الرسول ﷺ في أمر هذه السرية أنه ﷺ نعى زيدا وجعفرا وابن رواحة قبل أن يأتيه خبرهم، وعيناه تذرفان الدموع، وأخبرهم بأخذ خالد للراية وبشرهم بالفتح على يديه، وسماه يومئذ سيف الله[٢٩]. وحزن رسول الله ﷺ لما وقع لهم[٣٠]. ثم بعد ذلك قدم بخبرهم يعلى بن أمية ولم يزد ما جاء به عما قاله الرسول ﷺ لأصحابه[٣١]. وفي رواية أن عامر الأشعري هو الذي أخبر النبي ﷺ بمصابهم[٣٢].

وعلى الرغم من ضراوة هذه المعركة وكثرة أعداد جيش العدو إلا أنه لم يستشهد من المسلمين سوى اثني عشر رجلا[٣٣] كحد أقصى، أما الأعداء، فلم يعرف عدد قتلاهم، غير أن وصف المعركة يدل على كثرتهم.

وكان لشهداء مؤتة مكانة عظيمة عند الله تعالى، ولذا قال الرسول ﷺ: «ما يسرني أو قال ما يسرهم أنهم عندنا»[٣٤].

---

(٢٦) الواقدي (٣/ ٧٦٤). فإسناده ضعيف جدا لأنه متروك في الحديث كما ذكرنا مراراً وتكراراً.
(٢٧) البخاري/ الفتح (١٦/ ١٠٤/ح ٤٢٦٥ - ٤٢٦٦).
(٢٨) الصحيح (٣/ ١٣٧٣ - ١٣٧٤/ح ١٧٥٣).
(٢٩) البخاري/ الفتح (١٦/ ١٠٠/ح ٤٢٦٢) و (١١/ ٢٧٧/ح ٢٧٩٨)، والطبري في التاريخ (٣/ ٤٠ - ٤١) من حديث أبي قتادة.
(٣٠) من حديث رواه البخاري كما في الفتح (١٦/ ١٠١/ح ٦٢٦٣).
(٣١) من رواية موسى بن عقبة عند ابن كثير في البداية (٤/ ٢٧٥) وابن حجر في الفتح (١٦/ ١٠١/ عند شرح الحديث رقم (٤٢٦٢).
(٣٢) ابن حجر الفتح (١٦/ ١٠١) من رواية الطبراني.
(٣٣) ذكر ابن اسحاق - معلقا - أسماء عشرة منهم واستدرك عليه ابن هشام اثنين - ابن هشام (٤/ ٤٤ - ٤٥) معلقا، وذكر الواقدي ثمانية (المغازي ٢/ ٧٦٩).
(٣٤) البخاري/ الفتح (١٢/ ١٥٢/ح ٣٠٦٣).

أما ما روى ابن إسحاق[٣٥] من أن الناس قالوا لجيش مؤتة: «يافرار، فررتم في سبيل الله...»، فقد قال ابن كثير[٣٦] عن هذه الرواية: «وعندي أن ابن إسحاق قد وهم في هذا السياق، فظن أن هذا الجمهور الجيش، وإنما كان للذين فروا حين التقى الجمعان، وأما بقيتهم فلم يفروا، بل نصروا كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ المسلمين، وهو على المنبر في قوله: «ثم أخذ الراية سيف من سيوف الله، ففتح الله على يديه» فما كان المسلمون ليسموهم فرارا بعد ذلك، وإنما تلقوهم إكراما وإعظاما، وإنما كان التأنيب وحثي التراب للذين فروا وتركوهم هناك، وكان فيهم عبدالله بن عمر (رضي الله عنهما).

وساق ابن كثير أدلة على أن جمهور المسلمين لم يفروا، بل فرت مجموعة من المسلمين، من ذلك حديث عبدالله بن عمر عند أحمد[٣٧]، الذي فيه أنه كان ممن فر وخشوا القتل إن هم دخلوا المدينة، فهموا أن يركبوا البحر، ثم أخيرا قرروا عرض أنفسهم على الرسول ﷺ، واعترفوا بفرارهم، فقال لهم: «لا بل أنتم العكارون، أنا فيئتكم، وأنا فيئة المسلمين»، وفي رواية قال لهم: «لا بل أنتم الكرارون».

وجيء بأبناء جعفر (رضي الله عنه)، فداعبهم رسول الله ﷺ، وأمر بحلق رؤوسهم، ودعا لهم، وقال لأمهم عندما جاءته تذكر يتمهم: «العيلة تخافين عليهم وأنا وليهم في الدنيا والآخرة؟»[٣٨].

ولما جاء نعي جعفر، قال رسول الله ﷺ: «اصنعوا لآل جعفر طعاما، فقد أتاهم أمر يشغلهم، أو أتاهم ما يشغلهم»[٣٩].

---

(٣٥) بإسناد حسن إلى عروة، لكنه مرسل ضعيف - ابن هشام (٤/ ٣٧)، وقال ابن كثير في البداية (٤/ ٢٧٦): وهذا مرسل من هذا الوجه وفيه غرابة.

(٣٦) البداية (٤/ ٢٧٦).

(٣٧) المسند (٧/ح ٥٣٨٤/ شاكر) وصحح شاكر إسناده، وقال ابن كثير في البداية (٤/ ٢٧٧): رواه الترمذي وابن ماجه من حديث يزيد بن أبي زياد، وقال الترمذي: «حسن لا نعرفه إلا من حديثه».

(٣٨) من رواية أحمد في المسند (٣/ ١٩٢ - ١٩٤/ح ١٧٥٠/شاكر) وصحح شاكر إسناده.

(٣٩) المسند (٣/ ١٩٤/ح ١٧٥١/شاكر) وصحح شاكر إسناده، صحيح سنن ابن ماجة للألباني (١/ ٢٦٨) وحسن الألباني إسناده.

أحكام وحكم ودروس وعبر من أحداث هذه السرية:

١ ـ إن في تعيين الرسول ﷺ لثلاثة أمراء على جيش سرية مؤتة، لدليل على جواز تعليق الإمارة بشرط، وتولية عدة أمراء بالترتيب(٤٠).

٢ ـ في نعي الرسول ﷺ الأمراء الثلاثة قبل مجيء خبرهم، فيه جواز الإعلام بموت الميت ولا يكون ذلك من النعي المنهي عنه، وفيه علم ظاهر من أعلام النبوة(٤١).

٣ ـ في تأمير المسلمين لخالد بعد استشهاد الأمراء الثلاثة دليل على جواز الاجتهاد في حياة الرسول ﷺ(٤٢).

٤ ـ إن ظهور الحزن على رسول الله ﷺ عندما جاءه خبر استشهاد الأمراء الثلاثة لدليل على ما جعله الله فيه من الرحمة ولا ينافي ذلك الرضا بالقضاء. ويؤخذ منه ظهور الحزن على الإنسان إذا أصيب بمصيبة لا يخرجه عن كونه صابرا راضيا إذا كان قلبه مطمئنا، بل قد يقال إن من كان ينزعج بالمصيبة ويعالج نفسه على الرضا والصبر أرفع رتبة ممن لا يبالي بوقوع المصيبة أصلا(٤٣).

٥ ـ أفاد المسلمون دروسا وخبرات عظيمة من هذا اللقاء الأول مع الروم في مستقبل جهادهم معهم، حيث تعرفوا على عددهم وعدتهم وخططهم العسكرية وطبيعة أرضهم التي وقع فيها القتال(٤٤).

٦ ـ إن في مواقف الأمراء الثلاثة دليل على مدى قوة الإيمان الذي يحرك الصحابة (رضي الله عنهم) نحو ميادين الجهاد.

---

(٤٠) انظر ابن حجر: الفتح (١٦/ ١٠٠/ شرح الحديث ٤٢٦٢).
(٤١) المرجع والمكان نفساهما.
(٤٢) المرجع والمكان نفساهما.
(٤٣) المرجع والمكان نفساهما.
(٤٤) انظر د. العمري: المجتمع المدني، الجهاد، ص ١٦٨.